

## ممثل المرجعية في اوروبا معزيا بذكرى وفاة النبي: أهم عنصر لنجاح رسول الله في دعوته هي الأخلاق



ممثل المرجعية في اوروبا معزيا بذكرى وفاة النبي: أهم عنصر لنجاح رسول الله في دعوته هي الأخلاق

عزى ممثل المرجعية الدينية في اوروبا العلامة السيد مرتضى الكشميري العالم الإسلامي بذكرى وفاة النبي المصطفى (ص) وقال ان لخاتم الأنبياء محمد (ص) أربعة أوسمة ذكرها القرآن لم تكن لغيره من الأنبياء (ع): (سمو الذكر) و(حوض الكوثر) و(الشفاعة الكبرى) وأنه (الوسيلة لأمته)

جاء حديثه هذا بمناسبة ذكرى شهادة النبي (ص) التي تصادف يوم السبت 28 من شهر صفر قائلا:

منذ أن فتح النبي محمد (ص) عينه في هذه الدنيا والكتاب يكتبون والباحثون يحللون والمحققون يحققون والخطباء يتحدثون دون توقف، وما يزالون يكتشفون المزيد من أسرار عظمة هذه الشخصية التي هي السبب لهذا الوجود: (يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك...).

وحتى لا نسلك مسلك الإفراط والمغالاة في شخصيته، ولئلا نغالي فيه كما غالت اليهود والنصارى في نبي

□ موسى وعيسى (ع) علينا أن نرى ما هو تقييم القرآن لمقام النبوة؟ ومن خلال جوابه تنهاوى كل الشبهات والافتراءات التي يثيرها المستشرقون وغيرهم ضده (ص)، وتتحطم آمالهم وآمال الامويين ومن سار على نهجهم في اختلاق الأحاديث والروايات لتشويه هذه الشخصية العظيمة.. فلنستمع إلى ما يقوله القرآن حول شخصية النبي(ص):

1- يصفه بـ(البشر) وبـ(العبد) لقوله ((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِرَبِّهِ لَيْلًا مِّنَ الْمُجَشَّعِ الْجَرَّامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّ زَيِّنَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) و((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)) و((إِنَّ زَيْمًا أُنزِلَ بِشَرِّهِ مِّنْ ذُلِّكُمْ يُودَىٰ إِلَيْنَا)).

ومن هذه الخصوصية نعرف أن □ خص نبيه (ص) بالعبودية المطلقة لذاته المقدسة، ولذا أوحى إليه ما أوحى: ((فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ))، ولو لم يكن واصلاً لمرتبة العبودية لما ارتقى إلى رتبة الرسالة، ولذا نحن المسلمين نشهد له بالعبودية ثم نشهد له بالرسالة فنقول: (أشهد أن محمداً عبده ورسوله).

2- العلم المطلق: ((وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا))

هذا العلم الذي لا يمكن أن تحد أغواره وتعرف حقيقته، علم مصدره □ سبحانه وتعالى، علم لا يتسرب إليه الشك والخطأ والسهو والنسيان والاشتباه، علم مصدره اليقين والقطع، لا كما يذهب إليه البعض حيث يقول: إن النبي كان يبعث السرايا عن اجتهاد، ولا ضير في أن يخالفه من يخالفه.

وهذا العلم في حقيقته وجوهره انتقل من بعده إلى علي بن ابي طالب (ع) الذي قال: (علمني رسول □ (ص) ألف باب، كل باب يفتح ألف باب) وقال (ع): (سلوني قبل أن تفقدوني)، وهذا العلم انتقل إلى أولاده (ع) من بعده: (نحن نرث العلم صاغر عن كابر).

3- الطهارة من كل رجس ودنس، لقوله تعالى: ((إِنَّ زَيْمًا يُرِيدُ اللَّاهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)).

ونعني بالطهارة أنه مطهر من دنس الفكر والسلوك ومن كل رجس وشرك، فهو معصوم عن كل ذلك؛ (اشهدُ  
اَنَزَّكَ طَهْرُ طَاهِرُ مُطَهَّرُ مِنْ طُهْرٍ طَاهِرٍ مُطَهَّرٍ، طَهَّرْتَ وَطَهَّرْتَ بِكَ الْبِلَادُ  
وَطَهَّرْتَ اَرْضَ اَنْتَ بِهَا وَطَهَّرَ حَرَمُكَ...); لأن الشرك لا يجري في عروق الأنبياء، لذا فالقرآن  
يشهد ببراءته من كل خيانة وفحشاء وظلم، وأنه مصون من الاستجابة لشهواته الهابطة ونزواته العابرة،  
ومثله كان اهل بيته (ع).

وأى شهادة أرقى من هذه الشهادة؟ إنها شهادة □ له ولأهل بيته بالإرادة التكوينية بإذهاب كل سوء  
ورجس عنهم؛ ولذا نرى القرآن لم يكتفِ بقوله ويظهركم، بل قال: ((تطهيرا))، فذكر المفعول المطلق  
ليؤكد طهارة رسول □ وأهل بيته (ع)، وأنهم مطهرون في الفكر والسلوك وحتى في النوايا، فلا يفكرون  
بالسوء والرجس بكل أنواعه من الرذيلة والخيانة والفحشاء والظلم، حيث لا يقترب الرجس من ساحة محمد  
وآل محمد (ص).

4- العبادة، لقوله تعالى ((إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيْ  
اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَيْهُ))

حيث كان (ص) هو الشخصية الكاملة في العبادة ، حتى أن المؤرخين يقولون عنه: (صَلَّيَ حَتَّى  
تَوَرَّ مَتَّ قَدَمَاهُ ، فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ عَفَرَ  
اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدِّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرَ ؟ قَالَ : أَوْلا أَكُونُ عَيْدًا  
شَكُورًا). وقوله تعالى: ((طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى)).

وهكذا شابهه أهل بيته في العبادة وفي مقدمتهم علي (ع) حليف المحراب، وذلك بما تركه من الآثار  
الناصعة في أدعيته المباركة كدعاء كميل ودعاء الصباح والصحيفة العلوية، وكذلك ما تركه ولده الامام  
زين العابدين (ع) في صحيفته السجادية.

5- الأخلاق، لقوله تعالى: ((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) وقال (ص): (إنما بعثت لأتمم مكارم

م الاخلاق).. لم يقل: (لأؤسس الأخلاق)، لأن الأخلاق فطرية موجودة عند البشر، وإنما قال (ص): (لأتمم)، أي  
جاء ليكمل الاخلاق الفطرية الموجودة في صميم الانسان.

إن أهم عنصر لنجاح رسول □ (ص) في دعوته هي الأخلاق، رغم أنه كان يملك (القران المعجزة الخالدة)،

وكونه (المعصوم) و(الانسان المثالي).. فبرغم كل هذا فإن أهم عنصر لنجاح دعوته (ص) هو عنصر الأخلاق،  
بشهادة القرآن: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّامًا غَلِيظَ  
الْقَلْبِ لَأَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ))، فخشونة الصحراء كانت يجب أن تقابل بنعومة النبي ومرونته،  
وأخلاقه (ص) كانت هي المعجزة.

مضافا إلى ما ذكرناه فقد منح الله نبيه (ص) أربعة أوسمة ذكرها القرآن لم تكن لمائة و أربعة و عشرين  
ألف نبي من قبله:

1- أنه الشفيح الاكبر يوم الجزاء، قال تعالى: ((وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْتَمَى))، فقد  
دخل النبي (ص) على فاطمة عليها كساء من ثلة الابل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عينا رسول  
الله (ص) لما أبصرها فقال: يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة فقد أنزل الله تعالى علي:  
((وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْتَمَى))، يقول الامام الصادق (ع): (رضا جدي أن لا يدخل النار  
موحدا) ، فالنبي هو الشفيح الاكبر.

2- ((إِن زُيِّنَا أَهْلَ عِلْيَاسَ لَكَ الْكَاوِثِرَ))، فقد وعد الله نبيه (ص) بامتداد وجوده المادي، حيث قال:  
((إِن زُيِّنَا أَهْلَ عِلْيَاسَ لَكَ الْكَاوِثِرَ))، فأبناؤه اليوم الذين يتجاوز عددهم الملايين في الدنيا هم  
المصدق الأمثل لقوله: ((إِن زُيِّنَا أَهْلَ عِلْيَاسَ لَكَ الْكَاوِثِرَ)).

3- أنه وسيلتنا إلى الله، قال عز وجل: ((وَلَوْ أَن زُيِّنَا لَهُمْ إِذْ ظَلَمُوا وَأَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ  
فَأَسْتَغْفِرُوا وَاللَّهِ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ الرُّسُلُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا  
رَّحِيمًا)).

فالمسلمون من البدء وحتى اليوم كانوا يزورون قبر النبي (ص) ويتوسلون بقبره إلى الله لتقضى حوائجهم  
للدنيا والآخرة، ولا يهمنا قول من قال خلاف ذلك.

4- سمو الذكر، قال تعالى: ((وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ))، فرغم كيد الاعداء بقي وسيبقى اسم محمد  
يتألق في الدنيا، وقد حاول الأمويون وأتباعهم من المستشرقين والمرتدين أن يحطوا من قدر النبي (ص)  
ومن شخصيته، ولكن أبي الله إلا أن يتم نوره، فقال: ((وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)).

هذه بعض الومضات القرآنية عن شخصية النبي المصطفى (ص)، وللتاريخ عن مقامه الكريم حديث لا يسعنا

حتى الإشارة إليه، غير أن الحكمة الإلهية اقتضت في مثل هذه الأيام أن يرحل هذا النبي الرؤوف بأمته والعطوف عليهم إلى رضوان الله ولطفه (محفوظاً بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار)، قد ترك الأمة في حزن ولوعة وحسرة ودمعة (فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفئيتكم وفي ممساكم ومصبحكم يهتف في أفئيتكم هتافاً وصراخاً وتلاوة وألحاناً ولقبلة ما حل بأنبياء الله ورسله حكم فصل وقضاء حتم) فيا لها من خسارة لا تعوض! فوداعاً لك يا رسول الإنسانية والمحبة الذي كنت بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً وعلى الكافرين عذاباً صلباً وسلام عليك يوم كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك المدلهمات من ثيابها، وسلام عليك يوم ولدت ويوم عشت ويوم تبعث حياً.

هذا ونحن حينما نودع رسول الله (ص) في هذه الأيام الحزينة علينا أن نتذكر بأنه قد ترك فينا الثقيلين: الكتاب والعتر الطاهرة لنسير على نهجها ونتبع تعاليمهما حتى نحظى بسعادة الدارين.

لكن ومن المؤسف والمؤلم أن الأمة لم تلتزم بوصية نبيها فركضت خلف أهوائها وشهواتها وحبها للدنيا تاركة ما أوصى به النبي (ص) أمته فكانت عاقبة أمرهم كما يقول القرآن: ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) وأي عذاب أشد من هذا أن أصبحوا يتوددون للأعداء ويعادون ويحاربون الأولياء أشداء على إخوانهم رحماء بأعدائهم ((مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَصْغَبَهُ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)).

نسأل من الله سبحانه وتعالى أن يثبت أقدامنا ويحسن عواقب أمورنا وينصرنا على أعدائنا إنه سميع مجيب.